

## السعودية تدمر الرواق العثماني في مكة و"تكتفي" بثلاث واجهات



مصدر الصورة: حساب "بذُر بدرة" على تويتر

اشتعلت في نوفمبر 2012، وسائل التواصل الاجتماعي بأخبار تؤكد هدم الرواق العثماني وإزالته بالكامل لصالح مشروع توسعة صحن الطواف حول الكعبة المشرفة، كان منظر الرافعات الشاهقة بخطافات الحديدية، ثقيلًا على قلوب كل من شاهدها، وكان صمت وتكتم الجهات الرسمية فضلًا عن مقال المشروع عن إظهار حقيقة الأمر، يصب مزيدًا من الزيت على النار.

وبعد أيام أصدرت الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي بيانًا وزعته على الصحف ووسائل الإعلام، تؤكد فيه أنه سيتم فك الرواق العثماني وإعادة تركيبه بعد انتهاء أعمال مشروع توسعة المطاف.

يومها استدعت الذاكرة الحيّة للمواطنين ذكرى القلعة العثمانية التاريخية على

جبل أجياد، ولم يحظ بيان الرئاسة برد الفعل المنتظر، وكلما طالب المواطنون بتوضيحات أكثر، كان الرد جاهزًا: البيان واضح ولا مزيد من التعليق حول الأمر.

لم تهدأ الأنفوس، وهي ترى الحفارات تنقر كديوك جائعة، قباب الرواق البيضاء، وكانت الصور وتسجيلات الفيديو عبر الفيس بوك وتويتر وقنوات اليوتيوب مسلسلًا يوميًا يتابعه كل الناس طوال اليوم والليلة.

وكان جزءًا من ذاكرة المكان الذي ظل صامدًا طوال أكثر من 1270 عامًا، يتبخر أمام أعينهم ولا يملكون فعل أي شيء غير الدعاء وإظهار مزيد من السخط وعدم الرضا بما يجري أمام أعينهم في عمارة بيت الله العتيق مأوى أفئدة خمس سكان العالم اليوم.

أمس، نقلت صحيفة مكة خبرًا مفاده أن السلطات السعودية قررت إسقاط الرواق الشرقي حول صحن المطاف والاكتفاء بثلاث واجهات فقط.

وقال الخبر الذي كتبه "عمر المضواحي": إن "الأمر قد حُسم وبات ظهور الرواق البديل للرواق التاريخي حول صحن المطاف بالمسجد الحرام بعد فكه وترميمه وبدء تأسيس ورشة أعمال تسابق الزمن لإعادة تركيبه في شكله الجديد، مسألة وقت لا أكثر".

طوال العامين الماضيين ظلت تصاميم ومخططات الشكل النهائي والواقع الجديد لـ "الرواق البديل" محل جدل ونقاش وشدّ وجذب في أضيّق نطاق ممكن، بين مختصين وخبراء ومسئولين في مكة المكرمة، تترسوا معًا خلف مطالباتهم لمقاولة تنفيذ التوسعة، بضرورة الحفاظ على شكل وأصالة الرواق التاريخي، ومن الجهات الأربع، صوتًا للقيمة التاريخية النادرة لهذا الرواق وللحفاظة على هوية الصورة الذهنية المترسخة في أذهان المسلمين، وحرصًا على بقاء جمالية المكان العتيق من أي رؤية هندسية قاصرة لا تتعامل بتقدير كاف مع هوية ومسلمات المكان المقدس.

ولا يعلم أحد ماذا حدث بعد ذلك، قبل أن تطبق الجهة المنفذة رؤيتها المعمارية المتفردة لشكل الرواق البديل بصورته الجديدة والنهائية حول الكعبة المشرفة، وتسقط رواق الجهة الشرقية بالكامل، من دون أي تبرير أو أسباب، معلنة فتح المجال لنقد قدرات مهندسي التصميم وضيق اختياراتهم للوصول إلى حلول تحافظ على أصالة وهوية الرواق التاريخي الذي يعود إلى القرن الأول الهجري.

وبين طرفة عين وانتباهتها، طوت كل الملاحظات المعارضة، لتمضي بصمتها وغموضها المعتاد، فيما استقر عليه أمر مقاولة التنفيذ وصدقه العمل، لتعيد للأذهان من جديد ما حاول تطبيقه في المدينة المنورة قبل عامين عندما خطط وصمم وأعلن عن "منبر بديل" و"محراب بديل" للتوسعة الجديدة، بدلًا من منبر النبي وقبلته ومحراب صحابته في المسجد النبوي الشريف، وما رافقه من هرج ومرج انتهى بأمر ملكي من الملك "عبد الله بن عبد العزيز" يقضي بالتراجع عن ذلك التصميم الهندسي الصادم للمنطق والتاريخ والهوية لثاني أقدس المساجد في الإسلام.

وكانت صحيفة "مكة" قد كشفت عن معمل ضخّم لترميم أعمدة وقباب وواجهات الرواق العثماني أقيم في أقصى مشعر مزدلفة تديره جورسوي (Gursoy) إحدى أكبر الشركات التركية المتخصصة في الترميم، بعد أن تولت فكّ جميع أجزائه ( 2754 قطعة) لمعالجتها وإعادة تركيبها بعد الانتهاء من أعمال مشروع توسعة المطاف لتتسع الطاقة الاستيعابية لصحن المطاف من نحو 48 ألف طائف في الساعة إلى 105 آلاف.

وفي لقاء سابق من الصحيفة معوالأستاذ الدكتور "معراج مرزا" كشف عن زيارته مع أمين العاصمة المقدسة الدكتور "أسامة البار" وعضو هيئة كبار العلماء الشيخ "عبد الوهاب أبو سليمان"، لمعمل ترميم الرواق العثماني في مزدلفة،

وكان مرزا يومها متحفّظًا في الحديث، غير أنه بدا متأثرًا بشدة لعدم معرفة العالم بهذا الجهد الخارق التي تبذله السعودية للعناية بأدق التفاصيل المتعلقة بمشروع توسعة وإعمار الملك عبد الله بن عبدالعزيز للمسجد الحرام، وكشف عن أبرز ما جرى خلال الزيارة الخاصة للمعمل، وكيف أنه والبار وأبو سليمان، توقفوا أمام عرض مصور لخرائط منفصلة توضح ثلاثة مقترحات لتصميم الرواق التاريخي بموضعه وصفوفه الجديدة:

الأول لرواق كامل وبصفين من القباب تحيط بالجهات الأربع.

الثاني بثلاث جهات شمالية وغربية وجنوبية من صفين من القباب، والضلغ الشرقي بصف واحد فقط من القباب.

الثالث يظهر فيه إلغاء جانب الرواق الشرقي للمطاف وتركه خاليا تماما، ليصبح الرواق من ثلاث جهات فقط.

وإبراء للذمة، أبلغ ثلاثتهم في قول واحد، كبير مسؤولي الشركة التركية بأن التصميم الأخير (الثالث)، غير مقبول وسيثير كثيرا من الجدل فيما لو تم اختياره ومضى العمل بتنفيذه.

وجددوا رضاهم بأن يكون الخيار الثاني وبصف واحد من القباب للجهة الشرقية هو الحد الأدنى المقبول،

وضمن احتفالات السعودية باليوم الوطني الرابع والثمانين في 23 سبتمبر الماضي، شاركت وزارة المالية (دون أي إعلان مسبق لمشاركتها) بجناح خاص في معرض "مشاريع متميزة في عهد خادم الحرمين الشريفين" والمقام في مركز المعارض بالرياض وضعت فيه نسخا جديدة ومحدثة لمجسمات الحرم المكي الشريف بعد الانتهاء من مشاريع توسعته وعمارته، ظهر فيه وللمرة الأولى شكل "الرواق السعودي" الجديد، بارتفاع واضح لأعمدته وأقواسه الضخمة تحت سطح الطواف العلوي الحديث، وكما ظهر فيه "الرواق البديل" للتاريخي ثبت أنه بالفعل لا يغطي جهات المطاف الأربع بل 3 فقط تستثني الجانب الشرقي التاريخي للكعبة المشرفة.

كما أظهرت مجسمات المسجد الحرام المئذنتين العملاقتين (420 مترا) في أقصى المصطبات الجديدة بارتفاع ضخم عن بقية المآذن الأخرى التي تعلو جميعها فوق المباني الرئيسية للمسجد الحرام، وبتفاصيل أكثر وضوحا لوظائفها "الجديدة" عما عرف عن المآذن من قبل.

الجانب الشرقي من الكعبة له أهمية خاصة، وهذه الواجهة هي أهم واجهة في الرواق العباسي. العثماني العتيق. ففي هذه الجهة تحديدا، يكمن مستودع ذاكرة حيّة لتاريخ عمارة المسجد الحرام منذ القرن الهجري الأول.

والتي كانت تضم في داخلها ما يعرف بـ"درب النبي صلى الله عليه وسلم" عند دخوله للبيت العتيق انتهى باب بني شيبه أمام الكعبة المشرفة.

وهو درب الذي كان يحرس الخلفاء والملوك والسلطين منذ القرن الهجري الأول، وعبر التاريخ على وضع أعمدتهم الموشومة بإهداءاتهم للبيت العتيق، وتخليد أيام ملكهم فيه لتكون شاهدة عبر الزمان خلفا عن سلف.

من جهته، حذر مرزا من أن شكل الرواق الثلاثي "سيصبح مثار تندر عبر التاريخ!"، مشددا على ضرورة إبقاء الصورة الذهنية النمطية لدى زوار البيت الحرام، وألا تحدث أي تشويه فيما لو تم إعادة بناء الرواق القديم من ثلاثة جوانب فقط.

ونبه الخبير المكيّ بعمارة الحرم الشريف، إلى ملاحظة أخرى رصدها خلال مشاهداته لأعمال تنفيذ أساسيات الرواق الجديد.

وقال: كان الهدف المعلن من تخفيض مستوى أرض الرواق القديم إلى مستوى صحن المطاف هو زيادة الطاقة الاستيعابية له، بحيث يمكن الطائفين في أوقات الذروة من الحركة بين الأعمدة بكل انسيابية، وهذا لن يتحقق بعد إحداث الدرج داخل الرواق إذ ستكون عائقا كبيرا للانسيابية، وأخشى أن يظهر للعامة وكأن الهدف من تخفيض مناسيب الرواق هو الهدم والإزالة للقديم فقط، لأن الاستفادة مع هذه السلالم في الصحن ستكون محدودة جدا.

وأضاف: كان الأولى أن يكون درج النزول من الدور الأرضي للتوسعة إلى الرواق القديم وصحن المطاف من جسم بناء التوسعة وليس كما هو المشاهد حاليا لنعطي سعة في أرضية المطاف باستخدام أرضية الرواق للطواف أوقات الذروة كما كان معلنا قبل الهدم وإعادة البناء.

المهندس أنس صيرفي يطرح رحلة سريعة عن تاريخية أروقة المسجد الحرام بقوله "تعهد الخلفاء

والسلاطين الرواق المحيط بالكعبة المشرفة بالعناية والزيادة منذ أول بناء له في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أن تلاه الخليفة المهدي العباسي بتوسعته القائم عليها حاليا سنة 168هـ والتي بقيت على حالها 810 سنوات حتى العهد العثماني الذي شهد إعادة بنائه المتصدع وجعلت لسقفه قبابا دون زيادة.

من اجزاء ازبلت وقد المطاف\_توسعة# من الثانية المرحلة اليوم عليه بدت لما صورة @makkawicom مبانيتها و #الرواق\_العثماني qz2GZ2SIgg/com.twitter.pic

– م. أنس صالح صيرفي (@Anaserafi) 22 November 2013

وقال: جاءت التوسعة السعودية الأولى 1375هـ لتؤسس لبناء جديد متعدد الأدوار للمسجد الحرام والمحافظة بأقصى ما يمكن على الرواق التاريخي، وزادت مساحة الحرم 10 أضعاف، وهذه الزيادة كانت تمثل حينها أكبر تهديد للرواق التاريخي لولا حكمة الملك فيصل الذي أمر بالمحافظة عليه، ولولا هذا التدخل السامي لذهب الرواق ذو القيمة التاريخية مع ما ذهب من مآذن وأبواب ومعالم قيمة من حوله.

ثم قال صيرفي وهو رئيس مجلس إدارة مكتب الأبنية للاستشارات الهندسية بجدة: عاد الرواق العثماني مؤخرا إلى المشهد بعد دراسات أكدت تسببه في ضيق المكان ووقوفه حائلا دون زيادة استيعابية الطواف وانسيابية حركته خاصة في جزأيه الشمالي والجنوبي، فواجه تهديدا آخر بالإزالة قبل 3 أعوام إلا أن توجيهات الملك عبد الله بن عبدالعزيز حفظه الله بالمحافظة عليه كانت بمثابة طوق النجاة الثاني الذي حفظ هذا الإرث الحضاري كشاهد على تاريخ أمة وتعاقب حرصها وتشرفها بخدمة الحرمين الشريفين.

وتابع: كان من أهم ميزات مشروع التوسعة الأخيرة، أن جعلت منسوب البناء الجديد محاذيا لمنسوب صحن المطاف وبالتالي عودة الرواق إلى منسوبه السابق قبل رفعه عن منسوب الصحن في التسعينات الهجرية الماضية لدرء أخطار السيول التي كانت تدهم الحرم الشريف، وهذه نقطة إيجابية في العمل، مشيرا إلى أن "إعادة بناء الرواق ستكون فرصة مواتية لكي ينسجم في شكله مع محيط التوسعة الجديدة بخلاف ما كان سيخلفه من فراغات لو بقي في موضعه الأصلي بحسب التصميم السابق للتوسعة".

وأكد صيرفي "أنه من الممكن أيضا أن يأخذ الرواق شكلا أكثر انتظاما بحيث يكون بعمق موحد لا يتجاوز صفين من الأروقة والقباب تحافظ على هوية المسجد الحرام التاريخية وصورته الذهنية العالقة في الأذهان على مدى القرون الماضية".

في تصريحات مشروطة بعدم الإفصاح عن هويتها، كشف عدد من الخبراء والمختصين عن ملاحظات يجب الانتباه لها وتداركها قبل فوات الأوان.

وقالوا: علينا أن نطرح سؤالاً جوهرياً يختصر كل الحكاية: هل واجهات صحن الكعبة المشرفة تطورت أم تدهورت؟ وأشاروا إلى أنه من الجدير وضع المقارنات لتتضح الصورة، وملاحظة كيف استعمل المصمم نمط أقواس ضخمة جافة موزعة على دورين دون نسب جمالية ومقارنتها بصور للرواق السعودي قبل الهدم (والذي بني قبل 60 سنة) لنعلم هل تصميمه يتطور أم يتدهور؟ وحذروا في شكل واضح بقولهم: للأسف، سيفتح الشكل الجديد للرواق أبواب النقد على بلادنا، وسنتهم بأننا نزيغ التاريخ.

وأضافوا: نحن بين أمرين لا ثالث لهما: إما أن نعيد الرواق التاريخي كما كان لنحافظ على قيمته، أو أن يزال تماما.

لأن تزييفه لن يحظى بأي قيمة، فالنسخ المقلدة ليست لها أي قيمة في واقع الأمر، مشيرين إلى أن الأعمدة التي تبنى الآن في نطاق الرواق القديم ليست أصلية، بل نسخة مصنوعة بالخرسانة.

وأضافوا: يمكن تشبيهه ما يحدث الآن في إعادة بناء الرواق بأنه قتل لروح وجسد الرواق التاريخي مع الإبقاء على ثوبه الخارجي فقط؟ أزيل الرواق التاريخي وغير مكانه ففقد أصالته ولم يحل مشكلة ضيق صحن المطاف، كما أن الرواق الجديد لم يحترم التاريخ، ولا هوية عمارة الحرم المكي، ولا حتى المنظور الهندسي الدقيق في حوى الكعبة المشرفة.

وتابعوا: كان على المقاول أن يكون واضحاً منذ البداية؛ إما أن يفصح بأن مشروع إعادة الرواق التاريخي ستكون بالنسخ الأصلية من أجزائه بعد فكها وترميمها، أو أن يعلن أن الرواق البديل لا يمت بصلة إلى الرواق التاريخي.

وتوقف الخبراء أمام استخدام مصمم واجهات الرواق الجديد للأقواس الضخمة، القائمة على أعمدة مرتفعة للغاية وتقطع هذه الأقواس (بصورة غير مناسبة) بلاطات أدوار الحرم الجديد. وشددوا في قول واحد على السلبيات الظاهرة والمتعددة للتصاميم النهائية، وكشفوا أنها اشتملت على عدة مآخذ تؤكد أن مهندسي عمارة الحرم قبل 60 عاما كانوا أكثر حرصاً من مصممي اليوم على القيمة الجمالية.

وزادوا: إن الأقواس الجديدة ضخمة وأعلى من سطح الكعبة المشرفة، ما يعني أن المصمم لم يراع الخلل بمعايير النسبة والتناسب بين الكعبة وما يحيطها، بحيث أضحت الأقواس الجديدة تقزم المنظور الهندسي للكعبة المشرفة، خلافاً للقديمة التي كانت متواضعة وأنيقة ورشيقة، وتراعي بهاء وعظمة الكعبة المشرفة وتؤكد أن الكعبة هي نقطة الارتكاز الرئيسة المستهدفة بالإظهار والإجلال أمام كل داخل لبهو البيت العتيق.

وختموا: هذه الأقواس لن تسفر إلا عن صورة مشوهة، وستفقد الحرم الشريف روحانيته وستظهره بهوية جديدة وكأنها في خصام مع التاريخ والجغرافيا، ومع المقدس.

ويُسجل موقع تويتر الاستياء الشديد من المغردين السعوديين بتدمير الرواق العثماني:

#في\_اوربا\_والدو\_لالمتقدمة

يحافظون على التراث و التاريخ اما إحنا كل يوم ندفن في هالاثار اللي عندنا . #الرواق\_العثماني

— Abu semran (@z0ober) November 28, 2012

#مكة\_المكرمة يحمل الرواق العثماني في #المسجد\_الحرام تاريخاً جميلاً، وهندسة رائعة، وتكاملاً بديعاً مشفوعاً بحسن النوايا! gd5DqttSxs/com.twitter.pic

— زاهر عثمان (@ZahirOthman) 16 October 2014

من يطالب بآزالة التاريخ لا يعرف قيمة المكان ومدى ارتباطه بالزمان #الرواق\_العثماني

— أحمد الشريف (@aaaalshareef) 16 October 2014

من المفجع أن لا يعرف بعض أبناء دولة المقدسات الفارق الشاسع بين المقدس و أثر تاريخي ذال عليه. هناك من يخلط بين الكعبة و #الرواق\_العثماني !!

— عمر المضواحي (@oalmudhwahi) 16 October 2014

نشدتكم الله، ثم بالنبي محمد: هل آذى #الرواق\_العثماني طائفاً منكم حول البيت العتيق؟!.

ماذا يمكن أن نسمى هذا الطرح من عضو مجلس شورى سابق؟!.

— عمر المضواحي (@oalmudhwahi) 16 October 2014

- #مكة\_المكرمة #الرواق\_العثماني في #المسجد\_الحرام بعد أعمال التعديلات خلال التوسعة الأولى والتي تغيرت فيها بعض ملامحه! n5ap8DUtYm/com.twitter.pic  
 – زاهر عثمان (@ZahirOthman) 15 October, 2014  
 إسقاط الرواق الشرقي حول صحن المطاف والاكتفاء بثلاث واجهات فقط https://co.t/:FBYkr5s830/#قبلة\_الدنيا #الرواق\_العثماني pic.twitter.com/9Q5wLJ2ZDa  
 – موقع قبلة الدنيا (@makkawicom) 15 October, 2014  
 الرواق العثماني والمكبرية القديمة Gx9kHhzb4p/com.twitter.pic  
 – بندر الأمير (@BBandaralameer) 16 September, 2014  
 قبل طمسها ثم هدمه "ZahirOthman@: #مكة\_المكرمة صورة نادرة جدا تبدو فيها الزخارف الأنيقة في الرواق العثماني "S9oYfeEo6H/com.twitter.pic  
 – Hana Humaidan (@J4MAP) September 13, 2014  
 صورته للحرم المكي الشريف.. ويظهر فيها الرواق العثماني . والمكبرية .. وقد تكون في الاعوام القادمة من الذكريات .. تصويري .. LrGLO7t3FF/com.twitter.pic  
 – وليد الشريف (@WALEEDALSHAREF7) 14 July, 2014  
 من هذا المكان ( حاليا عند هذه الاسطوانة في الرواق العثماني بالمسجد الحرام )، أسري بسيدنا محمد إلى... https://co.t/:mGRP9d88D0  
 – Hisham Al Dabbagh (@DabbaghH) October 15, 2013  
 #مكة ستصبح نسخة من لاس فيجاس بعد هدم الرواق العثماني والشامية والاثار الاسلامية بشكل غير مسبق تاريخياً بحجة التوسعة JRsmjFnXIm/com.twitter.pic  
 – تركيا للعرب (@arab4turkey) 27 December, 2013  
 حزينة كون أحدهم يحدث التاريخ بطريقة فجة . #الرواق\_العثماني 8RsPeAlOA1/com.twitter.pic  
 – مر , يم (@alsmran\_Mariam) 31 August, 2013  
 حضارة و آثار الرواق العثماني تتهدم و ناطحات نيويورك حول الحرم !! لاااااا تعليق.  
 اللهم أجعل بيتك دائماً شامخاً. zBnEnubXcj/com.twitter.pic  
 – Noha alsharif (@AlsharifNoha) August 5, 2013  
 وهذه صورة اخرى للحرم لا يوجد فيه سوى الرواق العثماني وبعض المنارات الصغيره  
 pic.twitter.com/VGw94ue7Si  
 – السحيم \_ احمد (@suhem\_a) 4 August, 2013  
 #حقيقة  
 توسعة المطاف شوهته واخفت الكعبة التي كانت رؤيتها من داخل الصحن تشرح النفس تمنيت لو كانت فوق الرواق العثماني كجسر معلق لداخل الصحن  
 – لاحم حمد الناصر (@lahem88) 26 July, 2013

- العمال شغالين تكسير في #الرواق\_العثماني #مكة 7OhZ7VMtyZ/com.twitter.pic  
— Ryan Adil ريان عادل (@RyanAdil) July 20, 2013
- صورة أخرى لتضليل زوار #مكة والمعتمرين وخداعهم بملصق #الرواق وتكذيب #حقيقة إزالة  
#الرواق\_العثماني TtXQDI8o6/com.twitter.pic  
— أحمد الشريف (aaaalshareef@) 8 June, 2013
- في أمريكا، رفع معبد عمره 112 عام للحفاظ عليه أثناء تأهيل الأرض تحته!  
صورة بدون تحية لكل من وافق على هدم الرواق العثماني 8mUuLWqXfC/com.twitter.pic  
— أماني العوامي (Awami\_Al@) 26 May, 2013
- #المفتي\_يجيز\_هدم\_الآثار\_الإسلامية #الرواق\_العثماني أهدي الصورة لسماحة المفتي #مكة #الرياض  
pic.twitter.com/Cd2kOv3dZd  
— منال مسعود الشريف (alsharif\_manal@) 17 May, 2013
- ما يزرعه الانسان في عقود و ربما قرون يسرقه الرأسمالي في لحظات #الرواق\_العثماني #مكة  
pic.twitter.com/wWdXdElzre  
— وجدان الشريف (iGogy@) 16 May, 2013
- ماتشاهدونه في الصورة ليس الرواق العثماني وإنما صورة كبيرة ( بنر ) له  
pic.twitter.com/4k3Unh59xA  
— عبدالرحمن الفريح (3\_alfureh@) 28 March, 2013
- لم اتخيل ان ارى منظرًا كهذا قبل قيام الساعة #الرواق\_العثماني #مكة kve1cyGq/com.twitter.pic  
— Willie (@willinium5) January 3, 2013
- يكذب عليك من يقول لك بتوّرع كاذب: يا أخي إني أحبك في الله. لو أحبك ما سعى في هدمك!  
#مكة\_لا\_تنسى #الرواق\_العثماني  
— عمر المضواحي (oalmudhwahi@) 14 December, 2012
- مقالي الذي لم ينشر حول توسعة الحرم المكي والمطاف، https://co.t//:KEOYarwO  
#مكة\_المكرمة #الرواق\_العثماني #آثار\_مكة Wu7WryZZ/com.twitter.pic  
— د.هتون أجواد الفاسي (HatoonALFASSI@) 21 December, 2012
- المصادر: صحيفة مكة (1) (2) - نون بوست